مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد **5/** العـدد: **4 (2021)**، ص293-312

الإنتاج المعرفي في الأنثروبولوجيا المغاربية

"قراءة تحليلية لدفاتر مجلة إنسانيات، العدد 04، أنموذجا"

Knowledge production in the anthropology of the Maghreb: An Analytical Reading of the Books of Ansaniyat Journal, Issue 04, as an example

أمينة لطرش[1]	كريمة هرندي[2]
مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية (CRASC) (الجزائر)	كلية العلوم الاجتماعية جامعة محمد بن أحمد-وهران02 (الجزائر)
anthropo2016@gmail.com	harendikarima@gmail.com

تاريخ الاستلام: 16/.05/.2021 **تاريخ القبول: 23/.09/2021**

ملخص:

يعدّ موضـــوع الأنثروبولوجيا حقلا معرفيا ثري بالدراســـات وعديد المجالات البحثية، لكن لم يعرف هذا العلم اهتماما بالوطن العربي إلاّ بالآونة الأخيرة، من خلال الدوائر العلمية البحثية، ومجلة "إنســـانيات" واحدة من الحقول المنابر البحثية التي لطالما اهتمت بموضـــوع الأنثروبولوجيا، وواقعها بالوطن العربي، خاصـــة المجتمع المغاربي (الجزائر، تونس، فالمغرب)، وفي مقالنا هذا سوف نسلط الضوء على العدد الرابع من دفاتر هذه المجلة.

كلمات مفتاحية: أنثروبولوجيا مغاربية؛ دراسات؛ إنسان؛ مجتمعات؛ وطن عربي.

Abstract:

The subject of anthropology is a field of knowledge rich in studies and many research fields, but this science did not know of interest in the Arab world until recently, through the scientific research circles, and the magazine "Insaniyat" is one of the fields of research platforms that have always been concerned with the subject of anthropology, and its reality in the Arab world, especially. Maghreb society (Algeria, Tunisia, and Morocco). In our article, we will shed light on the fourth issue of dafatir this magazine.

Keywords:

Anthropology of the Maghreb Studies; Human; Communities; the Arab world.

[1] أمينة لطرش، باحثة، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وحدة الأقاليم الناشئة جامعة قسنطينة 3 (CRASC/TES).

[2] كريمة هرندي، دكتوراه علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، أستاذ مساعد صنف ب، جامعة محمد بن أحمد، وهران02.

مقدمة:

لم يكن يعلم "**ماركو بولو**" ولا "**ابن بطوطة**"، ولا حتى غيرهم من الرحالة الأوائل بأنّ ملاحظاتهم الميدانية عن الشعوب والأجناس البشرية التي زاروا بلدانهم، ستكون نواة لعلم جديد بعد خمسة أو ستة قرون، العلم الذي قال عنه "**كلود لفي ستروس**" " أن ترى نفسك كما يراك الآخرون، والغربيون يهتمون بمعرفة صورتهم من خلال الآخرين"، نعم هذا الآخر الذي نسعى بصورة كبيرة للحفاظ على ايجابية رأيه بنا، من منطلق رمزية هذا الأخير الفاعلة، في ظل ثنائية الأنا والآخر، إنّها الأنثروبولوجيا التي قال عنها نفس الكاتب بأنّها "إنسية ديمقراطية"[3]، هذا العلم الذي يحمل مدلولات عديدة، فهي كما عرّفها "**إسماعيل قباري**" "علم الإنسان من حيث هو كائن فيزيقي واجتماعي... كما يشير إلى علم الإنسان أفعاله وسلوكه... ويوصف بأنّه علم الجماعات البشرية في إنتاجها...أو علم الحضارات والمجتمعات البشرية"[4].

في منتصف القرن التاسع عشر، حين بدأت خيوط علم الإنسان تشكل نسيجا متميزا، كان الأنثروبولوجيين القدامى يعتقدون بأنّهم معنيون بكل شيء عن الإنسان، غير أن تلك القراءة السريعة للسجل الأنثروبولوجي على مدى أكثر من قرن من الزمن، توضّح لنا عدد مسار هذا العلم الذي يمثل أحدث حلقة في سلسلة العلوم الاجتماعية[5]، فتغير اهتمامه في السنوات الأخيرة، بعد أن كان يهتم في بداياته بما هو بعيد، بدائي، وغرائبي، وبدراسة الإثنيات الثقافية. لم يعد هذا العلم منحصرا فقط بدراسة المجتمعات البدائية، بل تجاوزه ليصبح "علم وصفي للإنسان"[6]، سواء البدائي منه أو الإنسان المعاصر، في جميع نواحيه، سواء البيولوجية أو الطبيعية أو الحضرية و الاجتماعية، بالتركيز على خاصية التفاعل التي تتم بين مركز دراسة الأنثروبولوجيا –الإنسان– وبيئته الطبيعية والاجتماعية معا، ومحاولة استخلاص قوانين نمو المجتمعات وتطورها، ليصبح بذلك ليس مجرد عملية وصف غير ممنهج، بل "العلم الذي يعنى بدراسة الإنسان بالكشف وتصنيف النواحي الجسمية التي تميِّز الإنسان عن بقية المخلوقات التي تعاصره، وتلك التي انقرضت أشكالها. كما يتجه نحو تحديد الصفات التي تميِّز الأجناس البشرية وتفاعل تلك الأجناس مع البيئة ليكشف أوجه الشبه والاختلاف بين مختلف الحضارات، متجاوزا الوصف للجوانب البيولوجية

---

[3]-كلود ليفي ستروس (2019)، **الأنثروبولوجيا في مواجهة مشاكل العالم الحديث**، (تر: رشيد بازي)، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي للكتاب، ط01، ص10.

[4]-مراد بن حرز الله، واقع الأنثروبولوجيا الدينية في الوطن العربي، **مجلة التغير الاجتماعي**، المجلد 02، العدد 04، ص 86.

[5]-بيرتي ج بيلتو، (2010)، **دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ**، (تر: كاظم سعد الدين)، بغداد، بيت الحكمة، ط02،ص 9.

[6]-مصطفى تيلوين، (2011)، **مدخل عام في الأنثروبولوجيا**، لبنان، دار الفارابي، ط01، ص 19.

والحضارية والاجتماعية إلى محاولة استخلاص القوانين والأنساق التي تتحكم في تكوين المجتمعات والحضارات ونموها"[7].

إنّ زيادة الاهتمام بالأنثروبولوجيا كعلم بدأ فعليا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بالرغم من أنّه كان في بدئه منصبا اهتمامه على الأنثروبولوجيا البيولوجية؛ "أي أنّ الجسد كان محور اهتمامات الدراسات الأنثروبولوجية ومركزها[8]، إلاّ أنّ الأنثروبولوجيا في دورة تطورها "تستجيب للتغيرات التي تطرأ في العالم الخارجي، وكذلك يتغيّر اهتمامها الأساسي وفقا لذلك، وبالتالي فإنّ الحركة التي استمرت من الحقبة الصناعية والاستعمارية إلى عصر المعلومات والحداثيات العالمية قادة المادة إلى سلسة من التّحولات"[9].

إنّ الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته يهدف إلى "دراسة الحياة البشرية والحضارية دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري المحتمل في الظواهر الإنسانية الحضارية التي تتم دراستها[10] من جهة، وإلى "معرفة كلية وشمولية للإنسان في علاقته بامتداداته التاريخية ومحيطه الجغرافي"[11] من جهة أخرى. وما يعرف عن الأنثروبولوجيا ذلك التنوع في المواضيع، التي انكب عليها الأنثروبولوجيين في مختلف دراستهم، لتصبح هناك العديد من التخصصات ذات التسميات المتعددة في الأنثروبولوجيا منها: أنثروبولوجيا الطفل، أنثروبولوجيا التربية..."بل حتى أنثروبولوجيا الأنثروبولوجيا، تولدت هذه التسميات في أغلب الحيان عبر سهولة مؤسساتية، وسرعان ما ترسخت بالاستعمال"[12].

1. الأنثروبولوجيا في الوطن العربي:

إن الحديث عن الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، يدفعنا للوهلة الأولى للحديث عن حالة النفور منه، لأن الكثير كان يعتبرها تخصصا استعماريا، لكن رغم حركة النفور من هذا العلم، إلاّ أنّ جاذبية تأثيره كان لها من الوقع ما كان باهتمامات الكثير من الباحثين والمفكرين. لذلك فإنّه "لمن الضروري العمل على فحص التراث العربي الإسلامي، لاسيما تلك الأعمال ذات الصلة المباشرة بالأنثروبولوجيا مثل: مؤلفات "**أخوان الصفا**"، وكتاب "**الحيوان**" للجاحظ، وكتابات "**أحمد بن مسكويه**" بآرائه عن النشوء وتحول الأحياء بعضها من بعض، فقد تؤدي هذه الدراسات إلى إعادة تاريخ الأنثروبولوجيا من

---

[7]- مراد بن حرز الله، **واقع الأنثروبولوجيا الدينية في الوطن العربي، (م.ن/م.س)**، ص87.

[8]- مصطفى تيلوين، (2011)، **مدخل عام في الأنثروبولوجيا، المصدر السابق**، ص17.

[9]- توماس هيلانداريكسن، فين سيفرت نيلسن، (2014)، **تاريخ الأنثروبولوجيا**، (تر: عبده الريس)، المركز القومي للترجمة: القاهرة، ط01، ص 12.

[10]-زينب حسن زيود، (2014)، **الأنثروبولوجيا علم دراسة الإنسان طبعيا واجتماعيا وحضريا**، عمان، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع، ط01، ص 13.

[11]-مصطفى تيلوين، **مدخل عام في الأنثروبولوجيا، المصدر السابق**، ص ص 21-22.

[12]–مارك أوجيه، جان بول لولاين، (2008)، **الأنثروبولوجيا**، (تر: جورج كتوره)، ط01، لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ص26.

جديد..."[13]. فعلى الرغم من الثراء المعرفي والغنى في تراثنا العربي في مجالات معرفية ودراسات متعددة في المفاهيم والنظريات المتعلقة بالجنس البشري بصفة عامة، إلاّ أنّ علم الأنثروبولوجيا لم يلق رواجا واهتماما واسعا، من قبل الدوائر العلمية والمؤسسات البحثية العلمية العربية، إذا ما قارناه بالمجتمعات الغربية في شأن الاهتمام به، ومرد ذلك إلى طبيعة النفور منه كما أسلفنا الذكر سابقا، لكن "ثمة بعض الباحثين الأكاديميين العرب يشيرون إلى أنّ الأنثروبولوجيا دخلت إلى العالم العربي في الثلاثينيات من القرن العشرين تحت اسم "**علم الاجتماع المقارن**"على يد عدد كبير من البريطانيين مثل: **ايفانز بريتشاد، هو كارت، وبريستافي**، ممن تولوا التدريس بالجامعة المصرية".[14]

ويعتبر كل من "**ايفانز بريتشارد**" و"**ايرنستغيلنر**" من الأنثروبولوجيين الأوائل الذين تعاملوا مع مجتمعات العالم العربي والإسلامي، والباحث الأنثروبولوجي شأنه شأن غيره من الباحثين والمفكرين في باقي مجلات العلوم الاجتماعية والإنسانية، رهينة ظروف سياسية وسوسيو تاريخية معينة، وانتشار هذا العلم في الوطن العربي كان حبيس لعدة تأويلات، إذ أنّ عدم الترحيب به يرجع إلى عدم تقبل فكرة التطور الحيوي عند الإنسان، بالنظر لتعارضها مع الفكر الديني وتفسيراته، وإلى ارتباط نشأة الأنثروبولوجيا وبداياتها التاريخية بالاستعمار، لقد نشأ هذا العلم موصوما، ليس عن ظلم كبير، بغاية استعمارية أو تبشيرية، أي لدراسة شعوب مستعمرة أو يراد استعمارها أو تبشيرها[15]، فهذا الارتباط أثر بشكل كبير على عدم اهتمام الباحثين بهذا العلم، رغم اتساع الدراسات الأنثروبولوجية، لتشمل المجتمعات البشرية المختلفة، سواء في تكوينها أو في درجة تطورها، فمازالت ثمة رواسب تعوق اعتمادها كعلم يبحث في مشكلات المجتمع العربي، ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها، لاسيما القضايا الثقافية الاجتماعية الاقتصادية منها، فحسب "**منال السماك**" تقول بأننا "في حين نعيش زمن الانشقاقات والتفكك في الحياة العربية، ما زالت حتى هذه اللحظة الدراسات الأنثروبولوجية في عالمنا العربي غارقة في تقليد للدراسات الأكاديمية الغربية، عوضا عن الرقي بدراساتنا الاجتماعية والأنثروبولوجية في جامعاتنا ومعاهدنا العربية، وتأسيس مراكز أبحاث تقوم بمهامه الوطنية، ولكن ينبغي أيضا أن نعترف بأن هناك أطروحات أعدت بأقلام عربية يشهد لها بالجدية والانتماء، ناقشت مشكلات الأمة العربية من أجل حلها في إطار الممكن[16].

---

[13]-عيسى الشمس، (2004)، **مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)-دراسة-**، منشورات اتحاد الكتاب العرب: دمشق، ص 166.

[14]- عيسى الشمس، **مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)-دراسة-**، **المصدر السابق**، ص 167.

[15]-بيار بونت، ميشال إيزار، (2006)، **معجم الإيثنولوجيا والأنثروبولوجيا**، (تر: مصباح الصمد)، المعهد العالي العربي للترجمة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: الجزائر، لبنان.

[16] أنظر كتاب زينب حسن زيود، (2014)، **الأنثروبولوجيا علم دراسة الإنسان طبعيا واجتماعيا وحضريا**، عمان دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع، ط01.

فالحديث عن مسألة ظهور الأنثروبولوجيا بالوطن العربي، يعود بنا للكتابات الأكاديمية باللغة العربية لسنة 1946، على يد "**أحمد أبو زيد**" في مقالتين: "**التحليل النفسي للعقل البدائي**" و"**التحليل النفسي للأساطير**"...، وتم الاعتراف بالأنثروبولوجيا كتخصص أكاديمي بصفة رسمية في جامعة إسكندرية في سنة 1974، عقب تولي "**أحمد أبو زيد**" منصب الأستاذية في علم الاجتماع، فكان بذلك بداية تشكّلها وظهورها كتخصص مستقل إلى جانب الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس"[17].

ومن أبرز المراجعات النقدية[18] مقالة "**عبد الحميد الزين**" الموسومة بـ"**البحث عن أنثروبولوجيا الإسلام**"، ومراجعة "**طلال أسد**" "**فكرة الأنثروبولوجيا**"، مراجعة "**ليلى أبو اللغة**" "**المجالات النظرية في أنثروبولوجيا العالم العربي**"، مراجعة "**منصور المعدّل**" "**دراسة الثقافة الإسلامية والسياسية**"، إضافة إلى الكثير من الدراسات التي كان لها الدور الكبير في إبراز أهمية وفعالية الأنثروبولوجيا في الجانب الحقلي والصوري معا.

وهذا ينعكس أيضا على الدراسات الأنثروبولوجية المغاربية، يعني الحديث عن تلك الحملات الاستعمارية التي عايشتها مجتمعات المغرب العربي بداية بالجزائر، تونس، والمغرب، حيث تعد الأبحاث الأنثروبولوجية حول البلاد المغاربية مجالا من مجالات هذه الدراسات الأنثروبولوجية حول مجتمعات " الآخر"، المتواجد خارج حدود العالم الغربي والمحجوب بعيدا عن حصون حضارته. إذ أنّ معظم الدراسات الأنثروبولوجية التي عرفتها الدول المغاربية سواء: الجزائر، المغرب، تونس قام بها الباحثون الفرنسيون والإداريين العسكريين، إبّان الفترة الاستعمارية، خدمة لأغراض المستدمر الفرنسي، دراسات في حقيقتها اثنوغرافية أو منوغرافية ذات طابع عسكري استعماري في البداية، الغرض منها معرفة خصوصية المجتمع المحلي، القبائل والمناطق الجبلية الصحراوية والحضرية، من خلال وصف تلك الخصائص السوسيو ثقافية، والاقتصادية، وكذا الدينية منها لهاته المجتمعات. لقد تمحور موضوع هذه الدراسات حول كل من "البناء الاجتماعي"، "السلطة"، "الرمزية"، "التنظيمات الدينية"، "الزراعة"، "العائلة"، "الزواج والقبيلة"...

إنّ هذه الدراسات والأبحاث تحوّلت من استراتيجية إيديولوجية للكشف عن غرائبية ذلك الآخر إلى مقاربات علمية ومنهجية، لمختلف أشكال الممارسات المحلية، وتجدر الإشارة إلى أنّ الأنثروبولوجيا المغاربية عرفت انتعاشا كبيرا بفضل تلك الإسهامات النيرة، للعديد من الباحثين والمفكرين المغاربيين. الأمر الذي سيكون محل اهتمامنا وتركيزنا بهذا البحث، من خلال طرح لهذه الدراسات التي تناولها دفتر من دفاتر مجلة إنسانيات، وعليه:

كيف تعكس هذه الدراسات واقع المجتمعات المغربية وتطلعاتها؟

---

[17]- مراد بن حرز الله، واقع الأنثروبولوجيا الدينية في الوطن العربي، **مجلة التغير الاجتماعي**، المجلد 02، العدد04، ص ص 87-88.

[18]-أبو بكر قادر، حسن رشيق، **الأنثروبولوجيا في الوطن العربي**، دون دار نشر: دون دار نشر، د.سنة، ص 70.

2. تقديم مجلة إنسانيات:

1.2 نبذة عن مجلة إنسانيات:

"إنسانيات"، مجلة في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، تصدر عن مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (وهران-الجزائر) منذ سنة 1997. "إنسانيات"، جمع "إنسان"، مشتق من "إنس"؛ أي "البشر" بمعنى "إنثروبوس"، تعني "الجنس البشري"، في تباينه عن "فصيلة الحيوان". "إنسانيات" تعني كذلك مجموع السِّمات المميزة للإنسان بصفته إنسانا، وتعني العلوم الإنسانية وعلم الإناسة والآداب بالمعنى القديم للكلمة، وهي إحدى ترجمات "الأنثروبولوجيا". إضافة إلى كونها "مجلة أكاديمية" محكّمة ذات لجنة قراءة وتحميل حر، يتم إصدارها بشكل فصلي باللغتين العربية والفرنسية. بالرّغم من أن إنسانيات تنخرط أساسا ضمن المشروع الأنثروبولوجي، إلا أنّها منفتحة بشكل كبير على مختلف التخصصات، لاسيما تلك التي تتخذ من الإنسان والمجتمع موضوعا لدراستها. تقوم بنشر البحوث الميدانية، وكذا الأعمال الفردية للباحثين، والأعمال المنجزة في إطار مشاريع بحث مؤسساتية. تسعى المجلّة لتكون ملتقى للباحثين من الجزائر ومن الخارج، حيث تتضمن في أعدادها المختلفة الأبحاث المنجزة من قبل الباحثين الجزائريين، الذين يشتغلون في إطار المشاريع العلمية المبرمجة داخل مؤسسات البحث، كما تفتح مجالا للباحثين القاطنين خارج الوطن، الذين يسعون لإنتاج ومناقشة موضوعات ذات صلة بتوجهات وانشغالات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية .

من أهم مواضيع إنسانيات المجالات الحضارية والعمرانية وفضاءات السكن والمدينة، الأسرة والتنشئة الاجتماعية، التربية والمدرسة، الخطاب الأدبي والديني في الفضاء المغاربي، الشباب والرياضة والعمل، العلاقة بين الذاكرة والتاريخ، "إشكالية التراث المادي واللامادي" وغيرها من المواضيع الأخرى.

2.1 حقل المجلة:

إن حقل الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ومناهج دراستها من بين الحقول المعرفية التي أصبحت تلقى عناية، خاصة من طرف البحث الأكاديمي في مختلف البلدان، ولدى المنظمات الدولية المعنية بالثقافة والبحث، ونظرا للإدراك المتزايد لأهميتها في معرفة الشعوب لذواتها ولبعضها، في إطار العلاقات بين ثقافة الشعوب البشرية المختلفة، التي تطمح في بداية الألفية الجديدة إلى التحاور والتعايش، في كنف تواصل إنساني يستبعد الهيمنة، وفرض الرؤى المركزية الموروثة عن الاستعمار والتبعية، وكذلك بغرض توجيه تغيرات وتطورات حياة الجماعات البشرية، بالاعتماد على

حريّتها الثقافية التاريخية، استنادا إلى وعي الأجيال الجديدة بخصوصيتها وهويتها الثقافية[19]. يأتي إصدار "دفاتر إنسانيات" في سياق يعرف تطورا منهجيا متسارعا في مجال البحوث الإنسانية والأنثروبولوجية، التي أصبحت تمثل ملمحا عالميا، يتزايد الاهتمام به من طرف الأوساط العلمية المختلفة، كما أنه يشكل قطبا يجتذب إليه مختلف المقاربات في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ويسمح بتحليل النصوص، ومختلف الظواهر الثقافية بمراعاة زوايا النظر متعددة الاختصاص، مما يُمكِّن من رؤية شاملة، إذ أنّ الهدف من إصدار دفاتر إنسانيات إقامة جسر متين من الحوار العلمي والفكري بين الباحثين في الوطن العربي، ونشر الحركة الثقافية في الجزائر، إضافة إلى أنّ عملية اختيار مواضيع الأعداد يكون بانتقاء نصوصا أقرب إلى الممارسة والمعيش التاريخي المتأصل في مجتمعنا بتراثه، بنجاحاته ومآسيه، بانتماءاته وتمزقاته، بجاذبيته وتنافره، بقطيعاته واستمراريته. نشرت أربعة أعداد [20] عبارة عن مقالات متنوعة في مجلة إنسانيات باللغة الفرنسية ترجمت إلى اللغة العربية.

لقد تناول "العدد الأول" "الجزائر تحولات اجتماعية وسياسية"، في ثلاثة محاور: العنف، مساهمات في النقاش، والحركات الاجتماعية–الحركات الجمعوية، والمقدس السياسي. أما "العدد الثاني" فقد تناول "الجزائر: الهوية والتاريخ والتحولات العمرانية"، تضمن هذا العدد عدة مواضيع ترتبط بمسائل الخطاب التاريخي والمدينة والهوية واللغة. أما "العدد الثالث" فقد خصص حول المجتمع المدني والمواطنة، تطرقت مقالات هذا العدد إلى الفضاءين المحلي والدولي، وفق رؤى ومداخل متعددة. في حين خصّ "العدد الرابع" بـ "أنثروبولوجيا المجتمعات المغاربية: بين الماضي والحاضر"، معارف أنثروبولوجية حول المحلي ورهانات الواقع، وهو العدد المعني بمقالنا هذا، الذي يسلط الضوء على بعض ميادين الأبحاث الإثنوغرافية والأنثروبولوجية في المنطقة المغاربية، سواء في فترات الاستعمار أو في مرحلة ما بعد الكلونيالية. تعتبر هذه الدراسات مصدرا معرفيا يرصد مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، السياسية، الفكرية، وكذا الثقافية في المنطقة.

2.1تقديم الدفتر :

[19]-أنظر: دفاتر مجلة إنسانيات، (2004)، الجزائر تحولات اجتماعية وسياسية، تحت إشراف محمد داود، العدد 01.

[20]- دفاتر مجلة إنسانيات، (2004)، الجزائر تحولات اجتماعية وسياسية، المرجع السابق.
- دفاتر مجلة إنسانيات، (2010) ، الجزائر : الهوية والتاريخ والتحولات العمرانية، تحت إشراف محمد داود، وجيلالي المستاري، العدد 02.
-دفاتر مجلة إنسانيات، (2013) ، المجتمع المدني والمواطنة، تحت إشراف محمد حيرش بغداد، وصورية مولوجي، العدد 03.
-دفاتر مجلة إنسانيات، (2013) ، أنثربولوجيا المجتمعات المغاربية، تحت إشراف محمد حيرش بغداد وصورية مولوجي، العدد 04.

دفاتر مجلة إنسانيات، "أنثروبولوجيا المجتمعات المغاربية: بين الماضي والحاضر"، العدد 04، 2013، إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران الجزائر، 156 صفحةّ، يتكون هذا العدد من العناصر الآتي ذكرها :

- تقديم للعدد من طرف "صورية مولوجي"، وينقسم إلى محورين:

أ-المحور الأول: معارف الأنثروبولوجيا حول المحلي، يتكون من خمسة مقالات لكل من: "محمد العقون" حول "الإيثنوغرافيا الاستعمارية": شارل فيرو **Charles Féraud** نموذجا، و"عبد الواحد المكني" حول "الظواهر الاستهلاكية الجديدة في المجتمعات المغربية في الفترة الاستعمارية" : "الشاي والتكروري" بالبلاد التّونسية، "صادق بن قادة" في موضوع "معارف عسكرية وحداثة عمرانية كولونيالية، دور المهندسين العسكريين في تغيير المدن الجزائرية": مدينة وهران نموذجا (1931، 1870)، "فاني كولونا" في "السياسة والثقافات أيّة إشكالية للأمة؟"، و"محمد براهيم صالحي" في موضوع "الدين بوصفه شبكة دلالية مقاربة: كليفورغيرتز .**Clifford Geertz**

المحور الثاني: "المحلي ورهانات الواقع"، يعالج في هذا المحور ستة مواضيع، بداية بمقال لكلودين شولي حول "المحلي: الأصل والمصطلح"، ثم "حسان رمعون" في موضوع "البلاد المغاربية بوصفها جماعة متخيلة"،" حسن رشيق" في "الهوية الخشنة والهوية الناعمة"، أما "عبد الحكيم أبو اللوز" في موضوع "التوجهات الجديدة للسياسات الدينية في المغرب"، "نور الدين سريب" في موضوع "ممارسات ثقافية وجمعنة سياسية: المثال التونسي"، وأخيرا "محمد سعيدي" في موضوع "العائلة، عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر: الظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجا."

- ملخصات باللغة العربية واللغة الإنجليزية.

3. موضوعات أنثروبولوجيا المجتمعات المغاربية بين الماضي والحاضر:

تدور مواضيع هذا العدد حول أنثروبولوجيا المحلي ورهاناته المعرفية في المنطقة المغاربية، وأثر هذه الدِّراسات في بناء الأنثروبولوجيا، تعكس واقع المجتمعات المغاربية، وتستجيب لمتطلعاتها، سواء في فترات الاستعمار أو في مرحلة ما بعد الكولونيالية. إنّ معظم الدراسات التي تطرقت إليها مجلة إنسانيات في أعداد سابقة كما أسلفنا سابقا، مصدرا معرفيا يرصد مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، السياسية، الفكرية الثقافية في المنطقة المغربية، خاصة: الجزائر، تونس والمغرب.

أ. الدراسات في الجزائر:

كانت مواضـــيعها في الأنثروبولوجيا والتاريخ، لتتمحور حول "المحلي" و"الديني" و"الســـياســـي" و"الثقافي"، و"الاجتماعي"، نستهلها بدراسة حول الإثنوغرافيا "الاستعمارية" شارل فيرو (Charles Féraud) نموذجا ، للأستاذ "**محمد العربي عقون**"، بيّن بأن منطقة القبائل بقسميها المحافظ والمستعرب[21]، تحتل مكانة أساسية في الدراسات الإيثنوغرافية والأنثروبولوجية، المتعلقة بشـــمال أفريقيا، من خلال دراســـات كل من "هانوطوولوتورنو"، و "كامبردونهاكون"، و "بوسكي"، و "ما سكوري"، بالإضافة إلى أعمال "مارسي"، حيث اعتبر كلهم مجتمع الشمال الأفريقي مجتمعا تحكمه منظومتين قانونيتين، إحداهما: تقليدية عرقية شفوية، هي امتداد لنظم ما قبل الإســلام منها تستمدّ الجماعة تشريعاتها، والأخرى إسلامية، يعمل بها الفقهاء والطُّلْبة، ساهمت هذه الدراسات في رسم سياسة ديمومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، والدراسة الإثنوغرافية التي قدمها فيرو عن منطقة القبائل الشرقية، كانت من أولى الدراسات التي لفتت انتباه الاستعمار الفرنسي لهذه المنطقة، حيث ساهمت في إثارة الفتنة والتحريض وتكريس عوامل التفرقة... ، فركز بذلك فيرو على الوضـــع الأمني في المنطقة، وعلاقات المنطقة بالبايات في قســـنطينة، وكنموذج لهذه الدراسات التي قام بها فيرو دراسة أنجزها خلال مرافقته للحملة الفرنسية على قبيلة بني خطّاب الشرقية (جوان 1860)، ليوضـــح من خلالها أنّ سكان القبايل الشـرقية [22](Kabylie Orientale)لا يختلفون عن سكان جرجرة ، في الجانب الديني يوضـح أن قبائل هذا الجهة مسلمون، لكن إسلامهم شكلي، فهم يقبلون من القرآن ما يوافق مصـــالحهم أو ما يثير نزعة التطيُّر عندهم، لكن العادات والأعراف التي تلقَّوها من أســـلافهم يمكن أن تلغي النصّ القرآني، يبرز ذلك في هذا المثل الســـائر عندهم: *عَنْد لَقْبائل القاضـــي يحكَم، ولكن لَجْماعة تبطل حكمه"* ، ووضـــح ذلك من خلال بعض الأمثلة التي عايشـــها عندهم، حول الخلافات والصـــراعات القائمة بينهم، فيما يخص امتلاك العقار، أما بالنسبة للخصائص اللغوية، فلهجة التخاطب تتغير حسب السن، فالأشخاص دون الأربعين لا يستعملون ولا يفهمون لغتهم القبايلية، أما بالنسبة للخصائص الاقتصادية نظرا لقلة الثروة في بلادهم الجبلية يضطرون إلى الهجرة في كل موسم للعمل في الحصاد، والقطف في السهول العليا، مع القيام ببعض الطقوس. كما تحدث عن الحملة الفرنسية على قبيلة بني خطاب الشرقية كمؤرخ وشاهد عيان، من خلال وصفه للموقع الجغرافي والتاريخي للمنطقة، كذلك عن الوثيقة التي وجدها واعتبرها مهمة بالنسبة له، تطرق إلى معلومات إثنوغرافية عن الزواج، وتكوين الأسرة، من خلال روايات شفوية قدمها له شهود عيان في المنطقة، إذ كان الزواج يتم بطريقتين: "زواج الجدي" وهو القيام بذبح جدي رمزا لترسيخ الشروط التي أقرّتها العائلات، ليرمز دمه للرّوابط الزوجية، وكذلك تكون الزوجة ملكا لزوجها طيلة حياته، بعد موته تصـــبح ملكا للورثة، ويلتزم العريس بدفع مهر لوالد عروســـه، وإن لم يكن يملك المال

---

[21]-يوضح صاحب المقال منطقة القبائل أنها تمتد من من ضواحي الجزائر العاصمة غربا إلى ضواحي سكيكدة شرقا، وينقسم سكانها إلى مستعربين ومحافظين أي الذين لا يزالون يستعملون إحدى اللهجات الأمازيغية، وتعتبر جبال بابور حدا فاصلا بين القبائل المستعربين والقبائل المحاظين.

[22]- المقصود بالقبايل الشرقية في هذا الدراسة هو المنطقة الممتدّة من سفوح البابور الشرقية إلى ضواحي سكيكدة، ويشار إليها في الدراسات الجغرافية بعبارة قبائل القلّ (Kabylie de Collo) وسكّانها من البربر المستعربين المتميّزين بلهجتهم بين سائر سكّان أفريقيا الشمالية، ويبدو من دراسة ألسُنية(Linguistique) أنّ لهجة كتامة (قبائل الحدرة قبل استعرابهم) كانت وسطا بين أمازيغية جبل أوراس وأمازيغية زواوة.

سواء للبيت أو المهر يعتمد على مساعدة أصدقائه، وذبح الجدي معناه قبول المرأة الزّواج، وفي حالة رفض طلب الزواج من فتاة لسبب ما، فإنّه يتوجب على عائلتها منذ إعلانها عن رفضها تزويج ابنتها أن تكون دائمة اليقظة، خوفا من ذبح الجدي على عتبة منزل الفتاة، لأنّها ستكون بقوّة العرف من نصيبه، أما "زواج المعطية" فيكون عندما ترتكب عملية قتل، تحكم الجماعة على الجاني بدفع الدية، وإن لم يستطيع ذلك يقدم إحدى بنات عائلته مع مبلغ من المال حقّ كفن الميّت. كما وصف مجموعة أخرى من العادات والطقوس، والأغاني الخاصة بالزواج والأعراس عند هؤلاء القبايل. يخلص صاحب المقال إلى الازدواجية بين التراث البربري القديم والشريعة الإسلامية، لكن العرف أقوى من الدين، هذا ما ساهم في مساعدة الاحتلال الفرنسي في امتلاك آليات التحكم في الشعب الجزائري من خلال معرفة نعراته، وعناصر الإثارة المتحكمة فيه، وعوامل التضامن والتنافر بين أفراده، واستغلالها فيضرب بعضه البعض.

في نفس السياق الكولونيالي دراسة "**صادق بن قادة**" عن "**الهندسة العسكرية والعمران الكولونيالي في المدن الجزائرية**"، ومدينة وهران التي تعرضت للوجود العسكري الاسباني، والغزو الفرنسي، يوضح فيها اهتمام ضباط الهندسة العسكرية بتاريخ وجغرافيا الأقاليم المستعمرة، من خلال تعلم لغتهم، ودراسة عاداتهم والفضاءات التي يعيشون فيها، والمعرفة الدقيقة بهذه الأقاليم أثرت في طبيعة المشاريع التي أنجزوها. كما يعالج طفرة وراثية عرفتها مدينة وهران، التي تمخضت عن معارف عسكرية، جعلت منها نموذجا حيا من نماذج الحداثة العمرانية الكولونيالية، التي غيرت المشهد الجمالي لكثير من المدن في تلك الفترة. لقد شغلت مدينة وهران موقعا استراتيجيا على الخريطة العسكرية وضباطها من ناحية التهيئة العمرانية، وإعادة البناء والتحصين الدفاعي، في حين واصلت المصالح المدنية إنتاج وثائقي خرائطي ثري ومتنوع حول المعطيات المادية للمواقع. فقد كانت فضاء حربيا مهما أُعد وفق النموذج الأوروبي، وشكّل الميناء الحربي "**مرسى الكبير**" قاعدة بحريّة هامة، كانت المدينة بمينائها الحربي من بين الأماكن التي تعرضت للغزو من قبل الجيش الفرنسي سنة 1831 بالنظر لموقعها الاستراتيجي. كما وضح أن ضباط الهندسة المدنية أعادوا بناء المدينة من خلال ما يملكونه من معارف حول تقنيات التمتين، وحول تصورات المجال، وحتى في ميدان الملاحظة على الآثار والحفريات وتأثيرهم الكبير في التهيئة العمرانية، لهذا مدينة وهران تعتبر مثلا هاما لمسار التحديث الكولونيالي بالجزائر.

في السياق الجيو تاريخي يكشف "**حسان رمعون**" في مقاله حول البلاد المغاربية، بوصفها جماعة متخيلة عن السيرورة التاريخية التي حالت دون الوحدة السياسية للمغرب[23]، الذي يشكل بناء يقوم على عدد من الأطوار والخصائص، التي ورثها التاريخ، والتي تتداخل فيها العديد من المعطيات ذات الخاصة السوسيوأنثروبولوجية، والسياسية، ذلك مع تعاقب لتسميات شتى، بغض النظر عن بعض الفترات النادرة في تاريخ المغرب المتأثر باتجاهات مركزية كانت أو غريبة عنه (الفترة الرومانية القديمة، الفترة الموحدية

[23]-يقصد صاحب المقال بالمغرب،المغرب الكبير الذي يمتد حاليا من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى إفريقيا جنوب الصحراء ويضم كل من ليبيا تونس الجزائر، المغرب وموريطانيا، وليس المغرب الأقصى.

أو الاستعمار الفرنسي). يوضح كذلك بأنّ تحقيق الوحدة السياسية والهوية الجماعية أصبحت شبيهة بالجماعة المتخيلة، بالرّغم من توفرها على الخصائص الأساسية لبناء أمة معاصرة قوية، مثل الذي ذكرها "**بينديكت أندرسون**" Benedict Anderson، وبالرغم من تلك المحاولات التي قام بها بعض أنصار الحركة الوطنية في شكلها الحديث.

من خلال تجربة ميدانية لفاني كولونا في الحقل الديني في الفترة ما بين سنتي 1973و 1995، بمنطقة "قورارة"، ثم في "الأوراس"، حتى في منطقة "شنوا" في موضوع حول "الدين والسياسة والثقافات، أيّة إشكالية للأمة"، بالرغم من أنّ الأنثروبولوجية تشير إلى ما تحدثت عنه في المقال غير مطابق تماما لمحور العنوان المقترح؛ لأن إشكالية الأمة حتى ولو كانت حاضرة عند بعض الفاعلين الاستثنائيين، فإنها ما تزال في طور التشكل في المناطق غير الحضرية، هدفها في السبعينات ليس إشكالية الأمة لكن الاجتثاث la déracinement الذي أحدث ضجة كبيرة لدى الأنتلجينسيا في فترة ما بعد الاستقلال، وبيروقراطية الدولة، سواء على المستوى المركزي أو المحلي، بالإضافة إلى وجهات نظر متعددة، دفعتها إلى فهم تلك الوسائل التي من خلالها تعامل الناس مع ما حدث، ليس فقط كيف تم انتزاع ملكيتهم، فهذا العمل عبارة عن عصارة من الفرضيات والرؤى، والنتائج التجريبية المرتبطة بمكان النسق الاجتماعي الديني، بالتحديد الإسلام في المجتمع الجزائري في المناطق غير الحضرية قبل سنة **1954**، وأيضا حول اللقاء الذي حدث في الفترة الممتدة ما بين الثلاثينات إلى خمسينات القرن الماضي بين هذا الدين، الذي يختلف عن دين المدن، وعن الإرشاد الإصلاحي البادسي، القادم من المدينة، حتى وإن كانت تتبناه على المستوى المحلي، وآثار هذا اللقاء على ما بعد الاستقلال، حيث بينت أن هناك صلة وثيقة بين هاجس الوحدة المتصل في الواقع بالانتظام واستحالة وجود مثقف نافذ في المجتمع الجزائري لفترة ما بعد الاستقلال. يرجع ذلك إلى نكران الاختلاف الديني، ثم الثقافي، الاجتماعي، الجغرافي، فالأنثروبولوجي للبلاد، الذي يرجع إلى اعتبار الأنثروبولوجيا خارجة عن القانون. تقاسم فكرة "غيلنر" حول القومية ترتبط بفترة تاريخية معينة من نضج الإنسانية، وليست مصير الجنس البشري.

في الحقل الديني دائما، هذه المرة من خلال قراءة لكتاب الإسلام ملاحظا لكليفورد غيرتز، يلاحظ "**براهيم صالحي**" أن الدراسة الأنثروبولوجية للظاهرة الدينية في كل من المغرب وأندونيسيا كان ضمن اتجاهين: "اتجاه ذو بعد منهجي"البعد الذي توحي به المقدمة المتعلقة بمسألة كيفية الانتقال من الحالة المحلية إلى الحالة العامة، وذلك لأن عالم الأنثروبولوجيا حسب "**غيرتز**" ليس ملاحظا للحركات الكبرى على السطح، بل يشتغل من أجل بناء فهم مرتبط بالنبضات الحقيقية للمجتمع وباختلافاته، انطلاقا من سمك غليظ للحقائق الإمبريقية، مما يؤدي إلى اكتشاف التشابكات المعقدة والمتحركة، التي تشكل إيقاعات مجتمع ما، أما الاتجاه الثاني "مرتبط بالمقاربة الاجتماعية"، اتجاه قلما يكون ثابتا أو حاملا معه ليقينيات طالما كانت، مثلا النظريات الانقسامية التي كانت تفسر حقل المجتمعات المغاربية، وهي أكثر مرونة باعتبارها لا تغلق الآفاق، ولا تحول دون التّعبير عن حساسيات الباحث، ويوضح المقاربة الأنثروبولوجية للدين خاصة الإسلام، في جانبيها "المنهجي" و"النظري" ذات قطيعة مع النزعة الوظيفية وبديلا لها، وبغض النظر عن

ميادين هذه الدراسة يعتبر الكاتب أن مقاربة "غيرتز" يمكن أن تكون منطلقا جادا لتصورات منهجية، تتجاوز الحيز التقليدي، والنماذج النمطية الجاهزة في دراسة الممارسات الدينية بالمجتمع الجزائري؛ بمعنى تلك النماذج الجاهزة أو من النموذج الشامل. يخلص الباحث إلى الأهمية الكبيرة لتعريف "غيرتز" للدين والتغير الديني، من خلال دراسته للحالتين المغربية والإندونيسية، هاته الدراسة تحتاج للمزيد من النقاش والتعليق، وممكن اقتراح ميادين بحث وتفكير وتوجهات نظرية ممكنة هي أكثر جدارة من الأطر الجامدة، بمعنى تلك النماذج الجاهزة أو نموذج من النماذج الشاملة.

في موضوع حول المحلي، الأصل والمصطلح، لكلودين شولي، تطرقت إلى المحلي، في ظل التنوع الدينامي والتحولات التي يعرفها المجتمع الجزائري خاصة منطقة القبائل، وتعريفه بالمكان الذي نعيش فيه ونتعارف فيه، ومنه يعترف بنا الآخرون هو بالبداهة، القرية والبلدة، الدوار ومراعيه، الحي ومبانيه، وفضاءاته للتبادل والمواجهة، واعتبرته يتغير ويتحول باعتباره إنتاجا للتفاعلات التي تحدث بين "ما يأتي من الخارج"، وبين استراتيجيات الفاعلين بالداخل. كما وضحت بأنّ الجزائر تتوفر على عدد لا يستهان به من الدراسات المنوغرافية المحلية، قام بها العديد من المختصين في عدة تخصصات، لتقترح منهجية تقارب الموضوع، يرافقها توضيحا ومناقشة، تبين فيها بأنّ المختصون في العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجيا على وجه الخصوص فقراء وعاجزين عن تفسيرات الأحداث التي تعرفها حاليا منطقة القبائل، لأنّ المعلومات التي جمعتها من وسائل الإعلام وبعض الشهود لا زالت جزئية، متحيزة، حاولت تفسير النزاع على مستوى العلاقة بين المحلي والوطني، فخلصت إلى أن المحلي لا يمكن أن يدرس علميا إلاّ إذا تم إدراجه في إطار الكل، الذي يشمله بكل تعقيداته.

في الأخير مقال لمحمد سعيدي "**العائلة عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر**": الظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجا، يتطرق من خلاله إلى واقع العائلة الجزائرية في تلمسان، في كنف علاقاتها الرّوحية بمصادر هويتها الحضارية والثقافية، المتمثلة في العادات والتقاليد، بالرّغم من تعرضها إلى تطورات في جميع المجالات فقد أكسبتها عادات وتقاليد جديدة، وارتباط هذه الأخيرة بسيرورة التغير الاجتماعي والمحلي، عبر تاريخها الفكري والحضاري، إلا أنها ظلت مصرة على الاحتفاظ والاحتفال بعاداتها وتقاليدها المحلية، والتخلي عن ذلك يعتبر أمر سيء ومرفوض اجتماعيا وثقافيا، وحتى عقائديا.

ب. الدراسات في تونس:

مواضيعها في الأنثروبولوجيا والتاريخ تمحورت حول كل من: الاجتماعي الديني والسياسي والثقافي.

في مقاربة أنثروبولوجية تاريخية لعبد الواحد المكني عن ظاهرة من ظواهر الحياة اليومية للمجتمعات المغاربية، انتشرت في الفترة الاستعمارية بالمجتمع التونسي، ألا وهي السلوك الاستهلاكي، الذي حدده وفق المحيط المادي والإنتاجي للبشر، لكنه في الآن ذاته يمثل انعكاسا حقيقيا لحالات التطور الاجتماعي والثقافي، والفكري لدى الشرائح الاجتماعية؛ لأن ثقافة الاستهلاك تعبير مصغر لثقافة المجتمع، وخصّ بذلك "الشاي" و"التكروري"، الهدف من دراسته البحث عن

الدلالات الاجتماعية والثقافية للظواهر الاستهلاكية الجديدة، وهي ظاهرة تكشف الحجاب عن تاريخ الذهنيات والذاكرة الجماعية، من خلال التساؤل عن جذور هذه المستهلكات، وكيفية دخولها في ثقافة التونسي انعكاساتها في جميع المجالات، حيث كان لانتشار هاتين المادتين بالبلاد التونسية، خصوصا في فترة ما بين الحربين دلالات اقتصادية، ارتبطت بقدرة النسق الرأسمالي الاستعماري على تنميط الأذواق، وفرض انفتاحا وتعصرنا مهجّنا على المجتمع، أدى إلى الاستهلاك السلبي، وتغير بعض العادات والأذواق، والاستفادة الايجابية للمستعمر، من خلال المنافع المالية التي تذهب للخزينة والمستوطنين الفرنسيين من معمرين وتجار، في مقابل الهلاك للأهالي . واجتماعية ثقافية تتمثل في قدرة المجتمعات المحلية بأنساقها الاستهلاكية على الصمود والمنافسة، ليبين بأن استهلاك الشاي استهلاكا شعبيا عند كل الشرائح الاجتماعية، أما "التكروري" فقد اعتبره آفة وأفيونا، وسموما مخدرة تعوق المجتمع في تطوره السوسيو ثقافي، و تأسره في الهامشية والتخلف، اقتصر استهلاكه على الذكور، رافقه جدل التحريم في مجتمع عربي إسلامي، ويبن بأنّ المؤرخ للمسألة مطالب بتجاوز المنظور الأخلاقي أو الاقتصادي للظاهرة ومعالجتها معالجة تاريخية أنثروبولوجية، لاكتشاف خبايا الحياة اليومية، كوجهة من أوجه دراسة التاريخ الاجتماعي لبلداننا العربية، فالثابت أن هذه المستهلكات كانت ستنتشر بفعل الاستعمار المباشر أو بدونه، غير أن وقعها كان يمكن أن يكون مغايرا يبدو حسب المعطيات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد التونسية، وحجمها السكاني، وموقعها الجغرافي، أنها لم تكن قادرة على الوقوف في وجه **انفتاح مفروض**، وتبعية و**تنميط متزايد**، حتى في ميدان **الأذواق و المستهلكات**.

في الجانب التاريخي دائما مقال حول "**ممارسة ثقافية وجمعنة سياسية: المثال التونسي**"، طرح "**نور الدين سريب**" سؤال في وضعية استعمارية: كيف يمكن لممارسة ثقافية أن تنتج جمعنة سياسية؟، ذلك من خلال نموذجين لجمعيتين ثقافيتين، برزتا من خلال دورهما الفعال في خلق الشعور الوطني، هما: "الجمعية الخلدونية"، التي تأسست 1896، و"جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية" سنة 1905 بتونس العاصمة. تعرض إلى الظروف التي أدت إلى ظهور هاتين الجمعيتين، وتحليل مسارات ونشاطات العاملين بهما، مبرزا الدور الذي لعبتاه في بث الحس السياسي في المجتمع التونسي أثناء فترة الحماية الفرنسية، وكذلك الأخطار التي مثلتها هاتان الجمعيتان من خلال تشجيع التعليم في جميع المستويات، والنشطات الثقافية مثل المسرح، الفنون والآداب المخفية وراء نشطات سياسية، فمن خلال هذه الدراسة حاول تفسير التاريخ السياسي حسب "ج.ف. سرينلي"على أنه تاريخ السلوكيات والذهنيات والثقافات والأفكار.

ت. **الدراسات في المغرب:**

نستهلها بمقال "**حسن رشيق**"، في مناقشته لإشكالية الهوية، من خلال دراساته الميدانية بالمغرب، وكذلك دراسة "غيرتز" حول السوق في المغرب، يلاحظ بأنّ تقدير الهويات الجماعية من خلال المجالين السوسيولوجي والإيديولوجي في آن واحد، موضحا بأنّ هناك طبقتين من الهوية: "الهوية الجماعية الناعمة" MOLLE على مستوى التنظيم الاجتماعي، القائمة على أفكار مبهمة الملامح، تحملها شريحة اجتماعية غير محددة، تتميز بوجود صراع الولاء وهي

انتقائية، و"الهوية الجماعية الخشنة" DURE، تحملها جماعة إنسانية مهيكلة، يقع على عاتق صفوتها مهمة إنتاج، ونشر إيديولوجيا متناسقة، تتميز بالتصنيف الأحادي الحصري، وغياب صراع الولاء، وآمرة مرتبطة بالمناسبات الوطنية والدينية، والتقاليد، وشمولية، بالإضافة إلى نوع من الهويات يحتل مكانة وسطية، إذ يكون مبنيا على تنظيم مهيكل (القبيلة، طريقة دينية..) لكننه غير مؤسس على إيديولوجية مُمنهجة.

في سياق حديثه عن استراتيجية السياسة الدينية في المغرب خلال 2005، من خلال خطاب الملك أفريل 2004، يطرح "**عبد الحكيم أبو اللوز**" في مقاله العديد من التساؤلات حول تدبير الحقل الديني وتأهيله في المغرب، من خلال تتبع مجريات السياسة، التي تتبعها الدولة في تطبيق مقتضيات الإصلاح والعوائق التي تعترض ذلك، في ضوء التفاعل مع القوى الناشطة في المجال الديني.

فمهما يكن فإنّ الأنثروبولوجيا أُهملت ضمن الحقل العلمي والأكاديمي في الجزائر خلال السبعينات والثمانينات، بسبب اعتبار هذا العلم مصباح الاستعمار على الشعوب المحتلة، فحسب ***مولاي حاج مراد*** بقيت الأنثروبولوجيا في الدول النامية حبيسة عدة تأويلات سياسوية تتمثل في وصف هذه المادة الاجتماعية على أنها علم يخدم مصلحة المستعمر، حيث عملت الدراسات المونوغرافية إبان الاستعمار على كشف خصوصيات المجتمعات المستعمرة، وهذا لانعدام الكتابات والدراسات التاريخية لهذه المجتمعات، لقد شجعت أبحاث للقيام بدراسات ظاهرة التثاقف وعملية تأثير الثقافة الغربية على الدول المستعمرة، ومحاولة معرفة درجة تأقلم أو مقاومة للثقافة المستوردة من طرف المستعمر[24] وهذا ما يؤكده ***حسان رمعون*** في قوله " قائمة من العلوم المهمشة أو التي تم تفاديها بطريقة صريحة الأنثروبولوجيا التي وضعت لمدة طويلة في مقام الإثنوغرافيا الاستعمارية نفسه، وغالبا ما استخدمت من قبل الغرب في اتجاه العالم الثالث، وهذا ما أدى عام 1984 إلى حل مركز البحث في الأركيولوجيا والإثنوغرافيا (CRAPE) الذي تعود نشأته إلى العهد الاستعماري، وتم استبداله بالمركز الوطني للدراسات التاريخية في الجزائر قبل اتخاذ القرار بفتح المركز الوطني للبحث في ما قبل التاريخ والتاريخ والأنثروبولوجيا (CNRPH) التابع لوزارة الثقافة الذي لا يزال يشتغل إلى يومنا هذا. وإنشاء وحدة البحث في الأنثروبولوجيا التي أصبحت عام 1992 مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC) التابع لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وكذلك إعادة نشر كامل أعداد المجلة الأفريقية التي يعود تاريخها إلى أكثر من 100 عام من طرف ديوان المطبوعات الجامعية، إلى تعزيز البحوث الأنثروبولوجية[25]، بالإضافة إلى ما أشار إليه كان أيضا إنشاء قسمين للغة والثقافة الأمازيغية في كل من تيزي وزو وبجاية، ومعهد الثقافة الشعبية في جامعة تلمسان سنة 1981. وفتح ماجستير في الأنثروبولوجيا في قسنطينة ووهران من طرف مركز البحث في

---

[24] أنظر مراد مولاي الحاج، (2002)، مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية، وقائع الملتقى "أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر، المنعقد بتميمون أيام 24،23،22 نوفمبر 1999، تنسيق أ. نذير معروف، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران.

[25] حسان رمعون، (2015)، الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الدينية في الجزائر: عناصر من أجل حوصلة المعارف، مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، بحوث المؤتمر الذي نظمه مركز دراسات الوحدة العربية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، (وهران –الجزائر)، الجمعية العربية لعلم الاجتماع (تونس)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص 329-230.

الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ثم المدرسة الدكتورالية في الانثروبولوجيا EDA التي ساهمت في تكوين عدة دفعات في الانثروبولوجيا في الماجستير والدكتوراه، فيما بعد انتشر هذا التخصص في عدة جامعات من الوطن، ليسانس، ماستر، ودكتوراه، هذا الحقل الدراسي حسب ***إبراهيم صالحي*** انتقل من الوضعية غير الشرعية إلى وضعية عجز في الشرعية، انطلاقا من تجربته الميدانية، التي تحدث فيها عن عقبة في تخصص الانثروبولوجيا، وهي معظم المراجع في هذا الميدان باللغتين الإنجليزية والفرنسية وهذا عائق للطلبة الذين لا يتقنون هاتين اللغتين، أما على المستوى الكيفي هناك مشكلتين تتمثلان: في غياب التواصل بين الباحثين وتقاسم المعرفة بينهم، وعدم وضوح الرؤية للأعمال والمنتجات في هذا الميدان[26]، رغم وجود مؤخرا بعض الكتب المترجمة إلى اللغة العربية، لذا ما تم تقديمه من قبل حول الجزائر يمكن أخذه كأرضية بحث يعتمد عليها الباحث، كدراسات سابقة والبحث في نفس الميدان من خلال دراسات ميدانية تكون أكثر عمق خاصة وأن الأرضية خصبة لمثل هذه الدراسات.

بالنسبة للأنثروبولوجيا في المغرب يلاحظ حسن رشيق[27] بأنّ الأنثربولوجيا تخصصت في بداية الأمر، إبان الزحف الاستعماري في دراسة الثقافات الأجنبية، غير أن الأمور تغيرت بعد الاستقلال، فمن ميزات التاريخ القريب لهذا العلم، التي تعد سيرورة غير مسبوقة، كون المجتمعات التي شكلت موضوعه وميدانه التقليديين، لم تعد تدرس من طرف أنثربولوجيين أجانب فحسب، بل أيضا من طرف باحثين محليين، والاهتمام بالبحث الأنثربولوجي لم ينطلق إلا مع بداية عقد الثمانينات من القرن الماضي، بمساعدة علم الاجتماع وقد اهتم جيل المثقفين المغاربة، "علال الفاسي" و"محمد بن الحسن الوزاني" و"أبو بكر القادري" وغيرهم من الذين عايشوا الفترة الاستعمارية، بالمجالات ذات الصلة بالعمل السياسي، والاهتمام بوصف الظواهر الاجتماعية والثقافية ودراستها، و أول بحث ميداني أجرته "مليكة البلغيتي"، ولأعمال الأنثربولوجيين الأنغلو ساكسونيين والأمريكيين على الخصوص، أثر تدريجي في بلورة تصورات جديدة للممارسات والنظريات الأنثربولوجية بالمغرب. ومن المواضيع التي حظيت باهتمام الباحثين تنظيم الأشياء الجماعية في علاقتها بالأطر الاجتماعية والقوانين المحلية المنظمة لها، والتوترات والنزاعات الاجتماعية التي كانت رهانا لها، ويلاحظ بأنّ هناك هشاشة مقلقة سواء على صعيد التعليم أو البحث، ويذهب إلى أنه لا يوجد أثر لأقسام الأنثربولوجيا في الجامعة المغربية، وما يتم تدريسه هو بعض الفروع كالأنثربولوجيا السياسية أو الحضرية، باعتبارهما مكملين على التوالي للعلوم السياسية أو علم الاجتماع، فحتى الآن وباستثناء خريجي الجامعات الأجنبية، تسود العصامية بين الأنثروبولوجيين القادمين من آفاق مختلفة، و هشاشة حقل الممارسات الأنثروبولوجية بالمغرب، فتحت آفاقا جديدة، إذ منحت للبعد الثقافي أهميته في فهم الأفعال الاجتماعية، وتعتبر الأنثروبولوجيا في ظل تقسيم العمل المتعارف عليه حتى الآن من بين العلوم الاجتماعية العلم الأكثر استعدادا للقيام بهذا الدور.

---

[26] ابراهيم صالحي، (2015)، الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الدينية في الجزائر: عناصر من أجل حوصلة المعارف، مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، المرجع السابق، ص 296.

[27] -أنظر كتاب أبو بكر أحمد باقادر وحسن رشيق، (2012)، الأنثربولوجيا في الوطن العربي، دمشق، دار الفكر، ط 1.

أما في تونس حسب محمد جويلي[28] هناك خطاب نقدي حول الأنثروبولوجيا باعتبارها مجالاً معرفياً ذا نزعة استعمارية. وتعود هذه النزعة إلى نشأة الأنثروبولوجيا حيث اعتمدت في البداية على نصوص وملاحظات عسكريين وإداريين ضمن الحملات الاستعمارية، وقد قُدّمت أعمالهم باعتبارها معطيات علمية في حين أنها تمتزج بكثير من الشوائب والإسقاطات، ولكن جرى بالتدريج تطوير المنهجيات خصوصاً من خلال تجارب المعايشة. فكان الهدف من هذه الدراسات فهم هذه المجتمعات لدخولها وممارسة هيمنته عليها من الداخل، لكن اليوم موقع الأنثروبولوجيا غائماً في تونس، فهو لا يوحي بمجال دقيق يتحرّك ضمنه، ويفسّر ذلك بأنه "لدينا في تونس تقليد سوسيولوجي يعطّل تطوّر الأنثروبولوجيا، وهذا من تبعات التأثر بالمدرسة الفرنسية، بل إن الأنثروبولوجيا في تونس تتطوّر أساساً من خلال انعطافات علماء الاجتماع إلى هذا المجال، و مجالات الإعلام والنشر لم تُظهر قبولها الواضح للأنثروبولوجيا"، ويعيد جويلي هذا الوضع إلى إشكاليات داخل الجامعة التونسية أيضاً، حيث يقول: "بقينا نربط المجالات المعرفية بالتخصّصات الأكاديمية، وبذلك أصبح مقياس التطوّر العلمي هو تحصيل المراتب في الجامعة. بعبارة أخرى، لا يزال موقع الباحث يقف في ظل موقع الأستاذ، بمنطق أن الدكتوراه شهادة يريد صاحبها أن يكون أستاذاً جامعياً وليس باحثاً، وحتى البحث فإنه يتم من أجل الترقيات، وهذه تقاليد لا تتيح مناخاً ملائماً للتطوّر العلمي. باختصار، ليس هناك إنتاج للمعرفة بل إنتاج للدروس.

خاتمة:

إذن من خلال القراءة التحليلية لهاته المقالات التي أنجزت حول المجتمع المغاربي في كل من: الجزائر، تونس، المغرب، اعتمدت هذه الدراسات سواء على منطلقات نظرية لدراسات ميدانية في الفترة الاستعمارية أنجزت على المجتمعات المغاربية، أومن منطلقات نظرية ووثائق تاريخية خاصة بهذه المجتمعات سواء قبل الفترة الكولونيالية أو بعدها، أنجزت هذه الدراسات من قبل ضباط عسكريين، وموظفين تابعين للمؤسسات العسكرية، ساهمت في الوصف الدقيق لهذه المجتمعات ومساراتها وتاريخ بلادها، وتضاريسها ومناخها، وحضارتها، ولغاتها، والتنظيمات الاجتماعية الخاصة بها، بالإضافة إلى العادات والتقاليد والثقافية والرّمزية، والظواهر الاجتماعية المعروفة، فأبعاد وتجليات الأنثروبولوجيا للمجتمعات المغاربية المعاصرة ناتجة عن تراكم ثقافي، حضاري، اجتماعي، وكذا تاريخي، من خلال توافد عدة ثقافات وحضارات على المجتمع المغاربي مثل: الغزوات الكولونيالية والاستعمارية، الفتوحات الإسلامية، الهجرة، الغرض التجاري وغيرها، توظيف هذه الدراسات في فهم الخصوصية الثقافية والاجتماعية، وكذا التركيبات الإثنية لهذه المجتمعات لخدمة مصلحة المستعر، مما أدى إلى العزوف عن هذا العلم في هذه المجتمعات، لكن فيما بعد برزت دراسات أنثربولوجية

[28] شوقي بن حسن، (2019)، محمد جويلي. إنتاج معرفة أم إنتاج دروس؟ - العربي الجديد، https://www.alaraby.co.uk (consulté le 10/07/2021)

حديثة اعتمدت على دراسات ميدانية من قبل مختصين في الأنثروبولوجيا، ينتمون إلى المجتمع المحلي، أو قراءة لدراسات لباحثين أنثروبولوجيين لا ينتمون إلى مجتمع البحث مثل: دراسات كل من "كليفودغيرتز"، "أرنيستغيلنر"، فظهرت الأنثروبولوجيا بنفس مغاربي جديد مع أعلام في الأنثروبولوجيا، سواء مختصين في الأنثروبولوجيا فقط أو لهم اختصاصات أخرى، ومهتمين بالأنثروبولوجيا، أمثال: "فاني كولونا"، "كلودين شولي"، "حسان رمعون"،"براهيم صالحي"، "نذير معروف"، "عبد الرحمان موساوي"، "عبد الله حمودي"، "حسن رشيق"، "عبد الرحيم العطري"،" محمد نجيب بوطالب"، محمد جويلي وغيرهم..، فأرضية المجتمعات المغاربية خصبة للقيام بدراسات أنثروبولوجية ميدانية، وما تناولناه دراسات محدودة لا يمكن دراسة كل الأبحاث المنشورة في هذا المجال، فحسب "براهيم صالحي"[29] أصبحت مآلات تخصص الأنثروبولوجيا محل نقاشات حادة، في ضوء التغيرات التي تؤثر ليس فقط في المجتمعات التي تعد ميادين مفضلة بالنسبة للأنثروبولوجيين، خصوصا في القرن 19 وجزء من القرن 20، لكن فيما بعد تغيرت المجتمعات موضوع الدراسة، ووصلت حاليا إلى مجال الحداثة المادية، في الوقت الذي تستدعي نماذج تنظيم وتفكير مرتبطة بالحداثة، وفي المستوى الوطني فضلا عن المستوى العالمي، هناك سياسات واستراتيجيات أصبح التفكير فيها من أجل هدف أساسي هو حمل كل المجتمعات على تبني تلك المبادئ، حتى تكون شرطا للتطور. فمن خلال دراسة تحليلية للإنتاج المعرفي الأنثروبولوجي باللغة العربية في كل من الجزائر وتونس والمغرب، أثناء الفترة الممتدة بين 2000 و2016 لكل من أمنية المكاوي وهشام أيت منصور[30]، لاحظوا أهم المواضيع التي يكتب حولها الأنثروبولوجيون المغاربيون، التراث الشفهي والشعبي، والبنيات الاجتماعية ، والمجال والسلطة " ، في حين تبقي كل من مواضيع " الثقافة والهوية " ، " الدين والتدين " و " السلطة والمجتمع " ، مواضيع حاضرة ولكن بنسب متفاوتة، ومن بين التوصيات التي قدمت في هذه الدراسة من أجل النهوض بحقل الأنثروبولوجيا، تأسيس شعب للأنثروبولوجيا في الجامعات المغاربية حيث يدرس هذا التخصص في أغلب الحالات بشكل ثانوي داخل شعب علم الاجتماع، لذا لابد أن يعزز تكوين الطلبة والباحثين بالمهارات اللازمة لإنجاز بحوث قادرة على المساهمة في بناء معرفة علمية، تمكن من فهم الواقع المحلي، في تجلياته المختلفة، على ضوء أنساق أو نظم عبر – محلية ووطنية ودولية كما هو متعارف عليه في الجامعات والمراكز الرائدة والمتخصصة في هذا المجال. ويستدعي ذلك تكوينا لا يبنى بالضرورة على معارف تنتمي الى حقل علمي واحد، بل تخترق حدود مجموعة من الحقول المعرفية لكن داخل وعاء يتوخى فهم الثقافة في معناها الشامل، ويعطي للبحث فعالية وحيوية في فهم المجتمع

---

[29] ابراهيم صالحي، (2015)، الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الدينية في الجزائر: عناصر من أجل حوصلة المعارف، مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، المرجع السابق، ص 197.

[30]أنظر: أمنية المكاوي، هشام أيت منصور، (2017)، مراجعة للإنتاج المعرفي الأنثروبولوجي باللغة العربية بين 2000 و2016، بيروت، المجلس العربي للعلوم الأجتماعية، (consulté le 11/07/2012) http://www.theacss.org

والقضايا التي تشغله، من خلال انغماسه في الواقع المحلي دون أن يفقد الصلة بما هو كوني. ومن الضروري الانفتاح على الجامعات ومراكز البحث الرائدة في مجال الأنثروبولوجيا، في إطار شراكات بهدف تعميق وتجديد مناهج التدريس والبحث التي ما زالت مرتبطة بمقاربات متجاوزة، بحكم التغييرات العميقة التي لحقت المجتمعات المغاربية في العقود الأخيرة، وتعزيز جودة البحث، وفي الأخير لا بد من القيام بدراسات ميدانية في الوقت الراهن استنادا لهذه الدراسات التي تطرقنا إليها وغيرها، واعتمادها كأدبيات، والسؤال المطروح: متى نستطيع أن نتحدث عن مختصين في الأنثروبولوجيا المغاربية مدربين ومؤهلين للقيام بدراسات أنثروبولوجية؟

قائمة المراجع:

- أمنية المكاوي، هشام أيت منصور، (2017)، مراجعة للإنتاج المعرفي الأنثروبولوجي باللغة العربية بين 2000 و2016، بيروت، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، ***http://www.theacss.org(consulté le 11/07/2012)***
- أبو بكر قادر، حسن رشيق، (2012)، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دمشق، دار الفكر.
- توماس هيلانداريكسن، فين سيفرت نيلسن، (2014)، تاريخ الأنثروبولوجيا، (تر: عبده الريس)، القاهرة، المركز القومي للترجمة: ط01.
- بيار بونت، ميشال إيزار، (2006)، معجم الإيثنولوجيا والأنثروبولوجيا، (تر: مصباح الصمد)، المعهد العالي العربي للترجمة، لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- بيرتي ج بيلتو، (2010)، دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، (تر: كاظم سعد الدين)، بغداد، بيت الحكمة: ط02.
- زينب حسن زيود، (2014)، الأنثروبولوجيا علم دراسة الإنسان طبعيا واجتماعيا وحضريا، عمان، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع: ط1.
- ساري حنفي، نورية بن غبريط، مصطفى مجاهدي، (2015)، الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الدينية في الجزائر: عناصر من أجل حوصلة المعارف، مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، بحوث المؤتمر الذي نظمه مركز دراسات الوحدة العربية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، (وهران –الجزائر)، الجمعية العربية لعلم الاجتماع (تونس)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

- شوقي بن حسن، (2019)، محمد جويلي. إنتاج معرفة أم إنتاج دروس؟ - العربي الجديد، ***https://www.alaraby.co.uk (consulté le 10/07/2021)***.
- عيسى الشمس، (2004)، مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)-دراسة-، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- كلود ليفي ستروس، (2019)، الأنثروبولوجيا في مواجهة مشاكل العالم الحديث، (تر: رشيد بازي)، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي للكتاب: ط01.
- مارك أوجيه، جان بول لولاين، (2008)، الأنثروبولوجيا، (تر: جورج كتوره)، ط01، دار الكتاب الجديدة المتحدة: لبنان،.
- مارك أو جي، (2016)، أنثروبولوجيا العوالم المعاصرة، (تر: طواهري ميلود)، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1.
- مباركة بلحسن، الممارسة الأنثروبولوجية بين الانتماء والنظرة عن بعد: نموذج مغاربي، "مجلة التغير الاجتماعي"، العدد 03.
- محمد حيرش بغداد، وصورية مولوجي، (2013)، دفاتر مجلة إنسانيات، المجتمع المدني والمواطنة، تحت إشراف العدد 03.
- محمد حيرش بغداد وصورية مولوجي، (2013)، دفاتر مجلة إنسانيات، أنثربولوجيا المجتمعات المغاربية، العدد 04.
- محمد داود، (2004)، دفاتر مجلة إنسانيات، الجزائر تحولات اجتماعية وسياسية، العدد 01.
- محمد داود، وجيلالي المستاري، (2010)، دفاتر مجلة إنسانيات، الجزائر: الهوية والتاريخ والتحولات العمرانية، العدد 02.
- مصطفى تيلوين، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفارابي: لبنان، ط01، 2011.
- مراد بن حرز الله، واقع الأنثروبولوجيا الدينية في الوطن العربي، مجلة التغير الاجتماعي، المجلد 02، العدد04.

- مراد مولاي الحاج، (2002)، مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية، وقائع الملتقى "أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر، المنعقد بتميمون أيام 22،23،24 نوفمبر 1999، تنسيق أ. نذير معروف، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران.